سعد والحكيم العليم والرابع ان فى الوقت الذى يكون الجنين فى رحم الام ينصب من ذلك
الدم نصيب وافر اليه حتى يصير مادة لنمو اعضاء ذلك الولد وازدياده فاذا انفصل ذلك
الجنين عن الرحم ينصب ذلك الى جانب الثدى يتولد منه اللبن الذى يكون غذاء له فاذا
كبر الولد لم ينصب ذلك النصيب لا الى الرحم ولا الى الثدى بل ينصب على مجموع بدن المغتذى
فانصباب ذلك الدم فى كل وقت الى عضو اخر انصبابا موافقا للحكمة والمصلحة لا يتاتى له الا بتدبير
الفاعل المختار الحكيم والخامس انه تعالى جعل الثقوب والمسام التى احدثها فى حلمة الثدى ضيقة
جدا بحيث اذا اتصل المص او الحلب بتلك الحلمة لا يخرج منها الا ما كان فى غاية الصفاء واللطافة
والاجزاء الكثيفة لا يمكن الخروج من تلك المنافذ الضيقة فيبقى محتبسه فى الداخل فكانت حلمة
الثدى بسبب ضيق المنافذ كالمصفاة فبهذا الطريق يصير ذلك اللبن خالصا موافقا لبدن
الصبى سائغا للشاربين والسادس انه تعالى الهم ذلك الصبى وهداه الى المص فان الام
لما القمت حلمة الثدى فى فم الصبى ياخذ الصبى فى الحال فى مصها فلولا ان الفاعل المختار الهم
ذلك الطفل الصغير ذلك العمل المخصوص لما حصل تخلق ذلك اللبن فى الثدى فائدة الى غير ذلك
من غرايب الحكم ودقايق الفضل والرحمة فسبحان من شهد جميع ذرات العالم الاعلى و
الاسفل بكمال قدرته وبدايع حكمته له الخلق والامر تبارك الله رب العالمين قوله
والسكر مصدر سكر يسكر سكرا وسكر سمى به الخمر تسمية للشئ باسم سببه فان قيل الخمر محرمة
فكيف ذكرها الله تعالى فى معرض الانعام اجيب عنه بان هذه السورة مكية وتحريم الخمر نزل فى
سورة المائدة وهى مدنية فكان نزول هذه الاية قبل كونها محرمة وقيل السكر هو عصير العنب
والزبيب والتمر اذا طبخ حتى يذهب ثلثاه ثم يترك حتى يشتد وهو حلال عند ابى حنيفة الى حد السكر
واحتج بان هذه الاية تدل على ان السكر حلال لانه تعالى ذكره فى معرض الانعام والمنة وبقوله حرم
[illegible] لعينها والسكر من كل شراب وباخبار جمة قيل ان ابا على الجبائى صنف كتابا فى تحليل النبيذ
فلما شيخ واحدث منه السن العالية قيل له لو شربت منه ما تتقوى به فابى فقيل له قد صنفت
فى تحليله فقال تناولته الدعارة فسمج المروة هى شهرة اصحاب الدعارة وهى الخبث والفجور
فقبح بالمروءة التشبه بهم يقال رجل داعر اى خبيث وفاجر وفيه دعارة والكلام على حذف
المضاف اى تناوله اصحاب الدعارة قوله والاية ان كانت سابقة على تحريم الخمر فدالة على كراهتها
لطريق التعريض حيث عطف قوله ورزقا حسنا على السكر وما يكون مقابلا للرزق لا جرم يكون قبيحا
قوله والا اى وان لم يكن نازلة بعد تحريمها يكون جامعة بين العتاب والمنة بان يكون ورود قوله
تتخذون منه سكرا لطريق العتاب وقوله رزقا حسنا لطريق المنة كانه تعالى وبخهم على الجمع بين السكر والرزق الحسن

المسام ثقب

تفتح

الجنس قوله وقيل الطعم اى قيل السكر الطعام واحتج عليه بقوله جعلت اعراض الكرام سكرا اى ذمهم و
غيبتهم طعاما ونقلا والنقل ما يتنقل به على الشراب وقيل هذا بالخمر اشبه منه بالطعام والمعنى جعلت تخمر
باعراض الكرام جعل شغفه بغيبتهم وتحرق اعراضهم جاريا مجرى شربها الخمر وقيل السكر ما يسد الجوع من
السكر بفتح السين وسكون الكاف وهو مصدر سكرت النهر اسكره اذا سددته قوله يستعملون
عقولهم يعنى ان قوله يعقلون لم يقصد تعديته الى المفعول بل هو منزل منزلة اللازم قوله الهمها
وقذف فى قلوبها الا نحوها وقرر فى نفوسها هذه الاعمال التى تتحير عنها العقلاء من البشر وان كانوا
فى غاية الذكاء والكياسة قوله وقد عطف على الهمها فان الالهام عبارة عن القاء المعنى
فى القلب بطريق الفيض والمعنى ان الهام البهائم ان سخرها الله تعالى ويشاهد طبايع يصدر
عنها من الامور الغريبة من غير ان يعلمها احد كسباحة الاوز فى الماء وطيران الطير فى الهواء
بطبعها من غير تعلم بل بمجرد ان يخلق الله فيها ذلك من غير ان يكون منها فى ذلك تفكر وسابق تدبير فرد
على ان غير الوحى فى قلوبها ذلك كالقاء الشيطان وسوسته ويلهم الملك بنى آدم اشياء من غير ان علما
ان احدا دعاهم الى ذلك او القى فى قلوبهم لا انها لما وقعت فى قلوبهم من غير ان يسبق منهم تفكر وتدبر
علم ان هناك ملقيا ومعنى كون النحل طبيعتها ان لا مدخل للاختيار فيه لا كون الطبيعة مؤثرة فيه
اى لا مؤثر غيره تعالى قال الواحدى الالهام هو ما يخلقه الله تعالى فى القلب ابتداء من غير سبب
ظاهر قال الله تعالى ونفس وما سواها فالهمها فجورها وتقواها ومن ذلك البهائم وما خلق
الله تعالى فيها من ادراك منافعها واجتناب مضارها وتدبير معاشها الا ترى حذاقة النحل فى
صنعها وبنائها البيوت المسدسة من اضلاع متساوية لا يزيد بعضها على بعض فانها لو كانت
مربعة بقيت منها فرج ضايعة عند دخولها فيها ولو كانت مستديرة بقيت الفرج التى بين البيوت
ضايعة والعقلاء من البشر لا يمكنهم بناء تلك البيوت الا بالات وادوات مثل المسطرة والبركار
وبالجملة لو كانت تلك البيوت مشكلة بما عدا الشكل المسدس من الاشكال يبقى فى داخلها او فيما بينها
فرج خالية فاهتداء ذلك الحيوان الضعيف الى هذه الصنعة المشتملة على الحكمة اللطيفة واخراج العسل المصفى
من لعابه دليل قاطع وبرهان ساطع ان لهذا العالم الها قادرا عليما حكيما تعالى شأنه قوله
ولعل ذكره ذكرا ولان البيت هنا مستعار لمسكن النحل تشبيها له بما يبنيه الانسان ويبيت فيه
من الابنية فى اشتماله على حسن الصنعة وصحة القسمة ثم قال الحق المكنة فى سبيل الاستعارة التبعية
فى ما فى المسكن من الصنايع العجيبة التى لا يقدر عليها المهندسون الا بالالات والانظار الدقيقة
قوله من كل ثمرة قد تشتهيها اشارة الى ان الاستغراق المدلول عليه بقوله من كل الثمرات المراد به الاستغراق
العرفى كما فى قوله واوتيت من كل شئ فان بلقيس لم يؤت الها جميع ما يطلق عليه اسم الشئ بل المراد انها

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)